من أسرار الالتفات في القرآن الكريم

إعداد

د. يحيى بن عبدربه بن حسن الزهراني

أستاذ التفسير المساعد بقسم المواد العامة

كلية التربية – جامعة جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، لك الحمد كالذي نقول ، ولك الحمد خير مما نقول ، اللهم يا معلم إبراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني ، سبحانك لا علم لي إلاّ ما علمتني إنك أنت العليم الحكيم ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة نبينا محمد وآله وصحبه وسلم أما بعد :

فإن كتاب ربنا لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي فرائده، إنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنزله الله على نبيه ومصطفاه ليهدي به من الضلال وليخرج الناس من الظلمات إلى النور تكفل الله بحفظه إلى قيامة الساعة ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾.[الحجر :9]

إن الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وصحابته الكرام عرفوا للقرآن حقه، ولذا كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يحفظونها ويتعلمون ما فيها من خير وهدى ثم يعقبون ذلك بالعمل بما علموا، وهكذا سارت المسيرة حيث سار من أتي من بعدهم على أثرهم حفظاً وتعلماً لكتاب الله، ففتحوا به الأمصار، ودانت لهم شعوب الأرض، لا بالسيف كما يزعم الأفاكون والمارقون، كلاّ بلا جعلوا نور هذا الكتاب العزيز أمامهم فأناروا به دياجير الظلمات، وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وعلى مر السنين والأعوام ما زال أهل البصيرة من المسلمين يكتشفون عجائب هذا الكتاب المبين، ولا غرو فإنه كتاب رب الأرباب ومسبب الأسباب –إنه كتاب الله–.

والمتأمل فيما آلت إليه أحوال المسلمين في هذا الزمان من الذل والهوان والتفرق والتشرذم وتكالب الأعداء عليهم يوقن أن الأمة تتخبط وسبب هذا التخبط —ولا شك– البعد عن هداية القرآن، ومن عجب:

كـــالعيس في البيـــداء يقتلهـــا الظمـــأ والمـــاء فـــوق ظهورهـــا محمـــول

ولا يعني هذا القنوط والتسليم بالواقع المرير ، كلا بل على كل مسلم أن يوقن بإخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه لن تزال طائفة من أمته على الحق منصورة ، لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى قيام الساعة .

وفي اعتقادي القاصر أن زمرة العلماء الصادقين تدخل في هذه الطائفة من باب الأولية ، وقلت (الصادقين) ؛لأنه سواهم في الأمة كثير ممن يدعي العلم والعلم منه براء ، إما من جهة التعليم ، أو من جهة التطبيق .

وحين أتكلم عن مثل هذه القضية ؛ أقصد – والله من وراء القصد – إثارتها وإيجاد الحلول لها ، وهي في الأخير واقع لا يخفى على أحد ممن يشتغل بالعلم .

وأحسب أن من الحلول للخروج مما نحن فيه = أن يتولى تربية أبناء المسلمين علماء ربانيون ، فـ « هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: «وهم فوق الأحبار» ، لأن الأحبار هم العلماء. والرباني: الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم »[1].

وبناء على ما سبق فإن دراسة أساليب القرآن البيانية مما يعين على فهمه ، وبيان هدياته ، وإظهار وجوهًا من إعجازه ؛ « تفننه، وبداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتذييل والتنظير، والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبًا لثقل تكرار الكلمة، وإكثاره من أسلوب الالتفات، وهو من أعظم أساليب التفنن عند العرب ».[2]

---

(1) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل القرآن ط هجر (531/5) .

(2) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم – محمد السيد جبريل: 40.

وقد عقدت العزم على دراسة اسلوب الالتفات في القرآن الكريم ؛ ولأهمية هذا الأسلوب البلاغي سماه ابن الأثير [1] : « شجاعة العربية »، ثم علَّل هذه التسمية بقوله: « لأن الشجاعة هي الإقدام، وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورّد ما لا يتورّده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام؛ فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات » [2].وهو « من الأساليب البلاغية العريقة في البيان القرآني لإعطاء كل مقام ما يناسبه من أفانين القول »[3].

جدير بالذكر أن هذا البحث ليس مقصده استقصاء كل جوانب هذا الأسلوب الشريف في القرآن الكريم ؛ فهو قد أُفرد في رسائل علمية مطولة ؛ إنما المقصود ذكر أنواع الالتفات المتفق عليها عند العلماء ، مع ذكر بعض فوائده .

وعليه فقد كانت خطته كالتالي :

- المقدمة.
- المبحث الأول : تعريف الالتفات .
- المبحث الثاني : أسباب الالتفات في القرآن الكريم .
- المبحث الثالث : شروط الالتفات في القرآن الكريم .
- المبحث الرابع: أقسام الالتفات في القرآن الكريم .
- الخاتمة.

---

(1) أبو الفتح ، الوزير ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، ابن الأثير ، الشّيباني ، الجَزَري ، الموصلي ، الشافعي ، من العلماء الكتاب المترسلين ، مصنّف "المثل السائر" و"الوشي المرقوم في نثر المنظوم" ، وغيرهما من الرسائل الرائعة. المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة. يُنظر : سير أعلام النبلاء ط الرسالة (23/ 72).

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير (408/1)

(3) مباحث في التفسير الموضوعي: 250.

- المصادر والمراجع .
- فهرس المحتويات .

منهج البحث :

قسمت البحث إلى مباحث بعد جمع المادة العلمية ، واتبعت فيه ما يُتبع عادة في البحوث من :

1. عزو الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم .
2. تخريج الأحاديث من مظانها الأصلية ، والحكم عليها ؛ إلاّ إذا كان في الصحيحين فأكتفي بهما.
3. ترجمة موجزة لبعض الأعلام ، مستثنياً من ذلك الصحابة ، والأئمة الأربعة لشهرتهم ويسر الوصول إلى تراجمهم ، وكذلك الأعلام المقرونة باسم الكتب .
4. توثيق النصوص الواردة في البحث .
5. شرح ما يرد من مفردات غريبة .

وفي ختام هذه المقدمة أقول : هذا جهد المقل ، بذلت فيه الوسع والطاقة ، واسأل الله أن ينفعني به يوم أن ألقاه سبحانه ، كما أسأله – سبحانه – أن ينفع به كلُّ من قَرَأه ، وأن يقر أعيننا جميعاً بعز الإسلام والمسلمين، وما ذلك على الله بعزيز.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبة وسلم.

- **المبحث الأول :تعريف الالتفات:**

في اللغة : قال ابن فارس[1] –رحمه الله –: « اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة . منه لفت الشيء : لويته , ولفت فلاناً عن رأيه : أي صرفته ... ومنه الالتفات , وهو أن تعدل بوجهك »[2].

وقال صاحب اللسان« وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه ، قال:

أرى الموت بين السيف والنطع يلاحظني من حيث ما أتلفت

وقوله تعالى : ﴿ ولا يلتفت منكم أحد إلاّ امرأتك ﴾ أمر بترك الالتفات ، لئلا يرى عظم ما ينزل بهم من العذاب » [3].

ومما سبق نلاحظ أن معاني مادة (لفت) تدور على معنى واحد هو التحول والانصراف ؛ كما أشار إلى ذلك ابن فارس .

في الاصطلاح :نقل ابن الأصبع [1] معنى الالتفات عن قدامة بن جعفر [2] – رحمه الله – فقال : « فسّر قدامة _ يعني ابن جعفر – الالتفات بأن قال

---

(1) أبو الحسن ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، من أئمة اللغة والأدب ، قرأ عليه جمع من أعيان البيان ، أصله من قزوين ، وأقام مدة في همذان ، ثم انتقل إلى الري فتوفي بها سنة خمس وتسعين وثلاث مائة . يُنظر : سير أعلام النبلاء (103/17) .

(2) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : 958.

(3) لسان العرب ، لابن منظور (2/ 84).

: هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيعترضه إما شك فيه ، أو ظن أن راداً يرد عليه ، أو سائلا يسأله عن سببه ، فيلتفت إليه بعد فراغه منه ، فإما أن يجلي الشك فيه أو يؤكده ، أو يذكر سببه »[3].

وقال ابن المعتز [4]:« هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك . ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر» [5].

قال شيخنا محمد بن محمد أبو موسى – حفظه الله ونفع بعلمه – في خصائصه، بعد أن نقل كلام ابن الأثير (ت:637هـ) ونَقَدَه : « والمهم في كلام ابن الأثير أنه يقول إنك ترى الكلام بهذا الفن البلاغي يلتفت ههنا وههنا وكأن الأسلوب حيّ يتحرك ويتلفت,... هذا وقد اشتهر في تحديد الالتفات مذهبان :مذهب الجمهور , ومذهب السكاكي [6].

---

(1) أبو محمد ، عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر ابن أبي الأصبع العدواني المصري ، الإمام في الأدب ، الشاعر المشهور ، توفي بمصر سنة أربع وخمسين وستمائة . يُنظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي (5/19) .

(2) أبو الفرج ، قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي ، كاتب ، من البلغاء والفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة ، كان في أيام المكتفي بالله العباسي ، وأسلم على يديه ، وتوفي ببغداد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . يُنظر : الإعلام ، للزركلي (191/5) .

(3) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : 123 .

(4) أبو العباس ، عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي ، الشاعر المبدع ، خليفة يوم وليلة ، ولد في بغداد ، وأُولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم ، توفي سنة ست وتسعين ومائتين . يُنظر : الوافي بالوفيات (153/24) .

(5) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : 123 .

(6) أبو يعقوب سراج الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي ، عالم بالعربية والأدب ، ولد بخوارزم ، وتوفي بها سنة ست وعشرين وستمائة . يُنظر : معجم الأدباء =

أما الجمهور فيقولون في تحديده : إنه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، والطرق الثلاثة هي : التكلم والخطاب والغيبة.

فالجمهور بقولهم : (بعد التعبير عنه بطريق آخر منها) أنه لا يكون في أول الكلام سواء وافق مقتضى الظاهر أو خالفه ...

أما السكاكي فيرى هذا التفاتاً ، نحو قول القائل : " ويحك ما فعلت " وهو يخاطب نفسه ...

ولهذا قالوا : إن كل التفات عند السكاكي التفات عند الجمهور من غير العكس»[1].

المبحث الثاني :شروط الالتفات:

أورد الزركشي [2]– رحمه الله – شرطا الالتفات في برهانه ؛ وأنهما :

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (6/ 2846) .

(1) خصائص التراكيب : 250 – 251.

(2) أبو عبدالله ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، المصري ، الشافعي. الإمام ، العالم ، العلامة ، المصنف المحرر ، ألف تصانيف كثيرة في عدة فنون ، وهو عالم في الحديث والتفسير وجميع

أولاً: أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه

ثانياً:أن يكون في جملتين، أي كلامين مستقلين ،حتى يمتنع بين الشرط وجوابه .

ثم تعقَّب الشرط الثاني بقوله:« وفيه نظر فقد وقع في القرآن مواضع الالتفات فيها وقع في كلام واحد وإن لم يكن بين جزأي الجملة ،كقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** [العكبوت :23].

وقوله تعالى : **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾** [القصص:59].

وقوله : **﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾** [الأحزاب:50]، بعد قوله: **﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾** التقدير : إن وهبت أمرأة نفسها للنبي **﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾** وجملتا الشرط والجزاء كلام واحد .

وقوله : **﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ﴾** [الفرقان:17] .

وقوله : **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً.لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه ﴾** [الفتح :8-9] ؛ وفيه التفاتان : أحدهما بين (أرسلنا) والجلالة ، والثاني بين الكاف في (أرسلناك) (ورسوله) وكل منهما في كلام واحد.

العلوم ، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين وسبعمائة . يُنظر : طبقات المفسرين للداوودي (2/ 162).

وقوله : ﴿ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّه**﴾ [آل عمران: 151]

وقوله : ﴿ **فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً** ﴾ [الإسراء:63] وجوز الزمخشري (ت :538) فيه أن يكون ضمير جزاؤكم يعود على التابعين على طريق الالتفات[1].

وقوله: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً يرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ﴾ على قراءة الياء ».[2].

المبحث الثالث :فوائد الالتفات :

(1) عبارة الزمخشري – رحمه الله – في الكشاف2/ 456, هي : « فإن قلت: أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى (من تبعك) ؟! قلتُ : بلى , ولكن التقدير : فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك , ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ، ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات» .

(2) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (332/2) .

يرى الزمخشري (ت :538) - رحمه الله – أن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب – أي الالتفات – إنما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه [1].

لكن ابن الأثير الجزري– رحمه الله – يقول : « وليس الأمر كما ذكره – أي الزمخشري (ت :538) – لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه ، فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع ، وهذا قَدْحٌ في الكلام لا وصف له ، لأنه لم كان حسناً لما ملّ ، ولو سلّمنا إلى الزمخشري (ت :538) ما ذهب إليه لكان إنما يوجب ذلك في الكلام المطول ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك ، لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معاً يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك .

ومفهوم قول الزمخشري (ت :538) في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب إنما يستعمل قصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل أليه لا قصداً لاستعمال الأحسن .

وعلى هذا فإذا وجدنا كلاماً قد استعمل في جميعه الإيجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الإطناب ولم ينتقل عنه ، وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا:هذا ليس بحسن إذا لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب،وهذا قول فيه ما فيه ،وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري (ت :538) مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة»[2].

---

(1) يُنظر : الكشاف (1/ 64) .

(2) المثل السائر في الكاتب والشاعر (1 / 409).

ثم يبين رأيه في هذه المسألة بقوله : « والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب ، لا يكون إلاّ لفائدة اقتضته , وتلك الفائدة أمْرٌ وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، غير أنها لا تحدّ بحدٍّ ولا تضبط بضابط , لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها »[1].

والحق – والله أعلم – ما ذهب إليه الزركشي في برهانه حيث قال : « اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة ، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر لما في ذلك من تنشيط السامع ، واستجلاب صفائه ، واتساع مجاري الكلام ، وتسهيل الوزن والقافية شعراً ونثراً ... وأما الخاصة فتختلف باختلاف محآله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم »[2].

وهو بهذا القول يجمع بين الأقوال ، فيرى أن قول الزمخشري (ت :538) يدخل في الفوائد العامة ، وما ذهب إليه ابن الجزري يكون منضوياً تحت الفوائد الخاصة .

والفوائد الخاصة على ما سبق كثيرة ، أذكر منها ما ذكره الزركشي وغيره :

1. قصد تعظيم شأن المخاطب كما في قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة :1-7]فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه بقوله :﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾الدال على اختصاصه بالحمد وجد من نفسه التحرك للإقبال عليه سبحانه ، فإذا انتقل إلى قوله: ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ الدال على ربوبيته لجميعهم قوى تحركه ، فإذا قال : ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم جليلها وحقيرتا

---

(1) المصدر السابق.

(2)البرهان في علوم القرآن (3/ 390- 391).

تزايد التحرك عنده ، فإذا وصل إلى :﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ وهو خاتمة الصفات الدالة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء فيتأهب قربة ، ويتقن الإقبال عليه بتخصصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات .

2. ثم انتقل خطاب الغائب إلى الحاضر فقال :﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ينسب إلى التعظيم حال المخاطبة والمواجهة على ما هو أعلى رتبة عن طريق التأدب .

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال :﴿ **الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ مصرحاً بذكر المنعم ولإسناد الإنعام إليه لفظاً , ولم يقل (صراط المنعم عليهم) فلما صار إلى ذكر الغضب روى عنه الغضب في النسبة إليه لفظاً وجاء باللفظ متحرفاً عن ذكر الغاضب فلم يقل (غير المغضوب غضبت عليهم) تفادياً عن نسبة الغضب في اللفظ حال المواجهة .

3. التنبيه على ما حق الكلام أن يكون وارداً عليه ،كقوله تعالى : ﴿ **وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس:22]، أصل الكلام :(ومالكم لا تعبدون الذي فطركم) ولكنه أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويريهم أنه لا يريد لهم إلاّ ما يريد لنفسه ثم انقضى غرضه ذلك قال :﴿ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ ليدل على ما كان من أصل الكلام ومقتضياً له ، ثم ساقه هذا المساق إلى أن قال : ﴿ **إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ** ﴾ [يس:25].

4.أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب ،كقوله تعالى : ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الدخان : 4-6] .

أصل الكلام : (إنا كنا مرسلين رحمة منا) ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر للإنذار بأن الربوبية تقتضي الرحمة للمربوبين للقدرة عليهم ،أو لتخصيص النبي – صلى الله عليه وسلم – بالذكر أو الإشارة إلى الكتاب إنما هو إليه دون غيره ، ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب الموضوع موضع المضمر للمعنى المقصود من تتميم المعنى .

5.قصد البالغة ، كقوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**﴾ [يونس:22]كأنه يذكر لغيرهم حالهم لتعجب منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح لها ، إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد البغي في الأرض بغير الحق مما ينكر ويقبح .

6.قصد الدلالة على الاختصاص ، كقوله تعالى :﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ [فاطر :9] فإنه لما كان سَوق السحاب إلى البلد الميت وإحياءالأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم لأنه أدخل في الاختصاص ودل عليه (**فَسُقْنَا**) و(**أَحْيَيْنَا**) .

7.قصد الاهتمام ، كقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [فصلت :11-12]فعدل عن الغيبة في (**قَضَاهُنَّ**) و(**أَوْحَى**) إلى التكلم في (**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا**) للاهتمام بالإخبار عن نفسه ، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ ، وذلك لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا وأنها ليست حفظاً ولا

رجوماً , فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك لكونه مهماً من مهمات الاعتقاد ولتكذيب الفرقة المعتقدة بطلانه .

8. قصد التوبيخ ، كقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً** ﴾ [مريم :88-89] عدل عن الغيبة إلى الخطاب للدلالة على أن قائل مثل قولهم ينبغي أن يكون مُوبخاً ومُنكرً عليه ، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور فقال : (**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً**) لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له [1].

إلى غير ذلك من الفوائد التى تظهر جلية لمن تدبر القرآن واعمل فكره وذهنه ، وكما يردد شيخنا(ابو موسى) – حفظه الله – مقولة:« إن شرف الوقوف على الكلام أن تتدبر».

المبحث الرابع :أقسام الالتفات:

(1) يُنظر : البرهان (2/ 392 – 395) , وأساليب بلاغية ، أحمد مطلوب: 277 – 279 .

قال شيخنا(أبو موسى) – حفظه الله ونفع بعلمه – :«والالتفات عند الجمهور يتضمن ست صور» [1]وقال – حفظه الله – في موضع آخر من خصائصه : « الحق بعض الدارسين التعبير عن الماضي بالمضارع والتعبير عن المضارع بالماضي أو الأمر ، وما شابه هذا التصرف بباب الالتفات ، ملاحظين كما يرجح العلوي ــ هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول ، وقال : (وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة ؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها ، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير ، ولاشك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلك فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره).

وقد قلنا : إن المشهور في حده مذهبان ، وهذا الذي يقوله العلوي خلاف المشهور وقد ذكره ابن الأثير » [2].

وعليه سوف أذكر الأقسام التي اتفق الجمهور عليها وادع ما ألحق بالالتفات وليس منها على رأيهم .

الصورة الأولى : الانتقال من التكلم إلى الخطاب :

ووجه حثُّ السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه واهتم به.

ومنه قوله تعالى : في حكاية مقالة الرجل المؤمن الذي كان يدعو قومه من أهل (أنطاكية) ، قال : ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ**

---

(1) خصائص التراكيب : 251 .

(2) خصائص التراكيب : 262 .

اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۞ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۞ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:20-22].

قال شيخنا- نفع الله بعلمه - محللاً ومبيناً الالتفات في هذه الآية: « قال (**وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي**) ، فجاء بكلامه على طريقة التكلم ، ثم قال : (**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) وكان السياق أن يقول : وإليه أرجع ، لكنه جاء على طريق الالتفات ، وفيه شدة تحذير لهم وتنبيه إلى أنهم صائرون إلى الله وراجعون إليه ، ولا يتأتى هذا لو قال : وإليه ارجع ، الالتفات فيه مواجهتهم بصيرورتهم إلى من يكفرون به ، وكأنه يقول لهم: كيف لا تتقون من يؤول أمركم إليه وتسألون بين يديه»[(1)].

ومنه قوله تعالى :﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾[ألأعراف:137] .

قال الألوسي – رحمه الله –(ت:1270هـ) : « والتفت من التكلم إلى الخطاب في قوله سبحانه:(**رَبِّكَ**) على ما قال الطيبي ، لأن ما قبله من القصص كان غير معلوم له صلى الله تعالى عليه وسلم وأما كونه جل شأنه منجزا لما وعد ومجريا لما قضى وقدر فهو معلوم له عليه الصلاة والسلام وذكر في الكشف أنه ادمج في هذا الالتفات أنه ستتم كلمة ربك في شأنك أيضا» [(2)].

---

(1) خصائص التراكيب : 251 .

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي (9 / 54- 55).

الصورة الثانية: من التكلم إلى الغيبة :

ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السمع حضر أو غاب، وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه , فيكون المضمر ونحوه ذا لونين ، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب ، فالغيبة أروح له [1].

ومنه قول الله تعالى :﴿ **لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ**﴾ [يس:35] ، قال الزمخشري (ت :538) : « وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات» [2].

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ**﴾ [الرعد :37]قال أبو السعود –رحمه الله- (ت:982هـ) : « والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد الاسم الجليل لتربية المهابة ، قال الأزهري: لا يكون إلها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا »[3].

ومنه قوله تعالى :﴿ **تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى . وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى . اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [طه:4-6].

قال البيضاوي – رحمه الله – (ت:685هـ) :« والانتقال من التكلم إلى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد

---

(1) يُنظر :البرهان في علوم القرآن (2 / 382 –)383 ، وأساليب بلاغية : 280 .

(2) الكشاف (3/ 322).

(3) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود (26/5) .

العظيم الشأن ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أنه واجب الإيمان به والانقياد له من حيث أنه كلام من هذا شأنه»[1].

ومنه قول الله تعالى : ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ**﴾ [التوبة :1-2] .

أورد الألوسي – رحمه الله – (ت:1270هـ) في روح المعاني ، ما ذكره صاحب الكشاف عند هذه الآيات ؛ قوله : « ثم التفات من التكلم إلى الغيبة في (**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ**) ، والأصل (غير معجزي وإني) ، وفي هذا الالتفات بعد الالتفات الأول افتنان في أساليب البلاغة ، وتفخيم للشأن ، وتعضيهم للأمر ، ثم يتلوا هذا الالتفات العود إلى الخطاب في قوله سبحانه : (**الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ**) الخ وكل هذا من حسنات الفصاحة » . قال الألوسي (ت:1270هـ) ؛ متعقبًا لقول الزمخشري (ت :538) السابق : « ولا يخفى ما فيه من كثرة التعسف» [2].

ومنه قوله تعالى قوله تعالى:﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [الكوثر:1-2] .

فجاء الكلام على طريقة التكلم ثم انتقل إلى الغيبة في قوله (**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**) ومقتضى الظاهر أن يقو : فصل لنا ، وفيه إشارة إلى حثه على الصلاة لأنها لربه الذي رعاه ورباه ، فكأنه يقوي داعي الصلاة بذكر ربه [3].

---

(1) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (41/4) .

(2)تفسير الألوسي (340/10) .

(3) يُنظر: خصائص التركيب : 252 , والبرهان في علوم القرآن (2 / 383).

ومثله قول الله تعالى:﴿ **حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾. [الدخان :1-6].

فقد جرى الأسلوب كما ترى على طريقة التكلم (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ... إِنَّا كُنَّا ... مِنْ عِنْدِنَا ...**) ثم أنتقل إلى طريقة الغيبة فقال:(**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**) وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول : رحمة منا ، ولكن الانتقال هيأ خطاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو المنزل عليه الكتاب ، ولو قال : رحمة منا , لما كان هناك سبيل إلى ذكره – صلى الله عليه وسلم – ، ثم إنه لما قال (**رَحْمَةً**) ناسبها ذكر الرب ، لأنه يشير إلى معنى التربية والرفق والعناية [1].

ومنه قول الله تعالى:﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ والأرض لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [الأعراف :158] .

جرى الأسلوب كما ترى على طريقة التكلم (**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ**) ثم انتقل إلى طريقة الغيبة: (**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**) وكان مقتضى ظاهر الأسلوب أن يقول : فآمنوا بالله وبي , والالتفات إلى الاسم الظاهر هيأ إلى الأوصاف المذكورة بعده (**النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ**) ،وهي أوصاف مهمة في السياق لأنها تحث على الايمان به ، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يدعوهم إلى تصديقه ، لا لذاته ولكن لهذه الأوصاف ، أي كونه رسولاً أمياً , وهذه الأوصاف

---

(1)خصائص التركيب : 158.

تتضمن نوعاً من البرهان على رسالته لأن ما يخبرهم به من وحي السماء وليس من معارفه المحصلة بالقراءة[1].

ومن تأمل كلام الله حق التأمل , وما سطره نجوم هذه الأمة من علمائها في تفسيره ، فإنه سيجد الكثير والكثير من العجائب والفرائد ، ولكي لا يطول بي المقام أختم بمثال من الشعر.

قال شيخنا – رفع الله قدره – «ومثله من الشعر ... قول الحصين بن الحمام في مفضليته (من الطويل):

وأنجين من أبقين منا بخطة من العذر لم يدنس وإن كان مؤلما

أبى لابن سلمى أنه غير خالد ملاقى المنايا أيّ صرف تيمما

فلست بمبتاع الحياة بسبة من رهبة العيش سلما

البيت الأول يصف خيلهم وقد نجت من بقي منهم في معركتهم الظافرة ... وقوله (بخطه من العذر) أراد من بقي منهم ولم يقتل في هذه الحرب فقد أبلى بلاء يعذر فيه فلا يلام على بقائه فلم يدنس وإن كان مؤلماً من جراحه .

قال: (أبى لابن سلمى) وهو يريد نفسه ، وكان قد ذكرها بضمير جماعة المتكلمين في قوله :(من أبقين منا) ، ولكنه نقل الحديث إلى الغيبة لخيل بذلك أنه يحدثنا عن فارس همام ويروي لنا قصة شجاعته العجيبة ، ثم رجع إلى نفسه واستمر الحديث عنها في البيت الثالث : (فلست بمبتاع الحياة) ، وطريقة التكلم فيه هي التي تتسع لفيض شعوره واعتزازه بفضائله [2].

الصورة الثالثة :الالتفات من الخطاب إلى التكلم :

---

(1) خصائص التراكيب :252 – 253 .

(2) خصائص التراكيب : 253 .

قال الزركشي – رحمه الله – (ت:794هـ) في البرهان:« كقوله : ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا**﴾ [طه :72-73]وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحدا فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به ويمكن أن يمثل بقوله تعالى:﴿**قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ** ﴾ [يونس :21] على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب »[1].

قال شيخنا – رفع الله منزلته في الدارين – : «ومنه قول علقمة بن عبدة (من الطويل) :

طحـــا بـــك قلـــب في الحســـان بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفـــني ليلـــى وقـــد شـــط وليهـــا وعـــــادت عـــــواد بيننا وخطـــــوب

قوله:(طحا بك قلب) معناه ذهب بك وأتلفك ، وقوله : (شطّ وليها) أي : بعد قربها ، والشاهد فيه : أن الكلام جرى في البيت الأول على طريق الخطاب في قوله (طحا بك قلب) ،ثم أنتقل إلى طريق التكلم في قوله:(يكلفني) وحسن هذا الانتقال هو أن التكليف بليلى والحال كما وصف مقطع مهم من مقاطع المعنى ووقوعه على نفسه وقوعاً واضحاً ومباشراً مما يقوي به الكلام ،قال المرصفي : وقد مدح – يعنى علقمة – ملك غسان واستعطاه وسأله مع طلب الجائزة أن يمن على أخيه شاس بن عبدة وكان أسيراً عند الملك ، ولم يكتف بهذا بل طلب الجائزة لأخيه وكل ذلك في قصيدته التي مطلعها : طحا بك قلب »[2].

الصورة الرابعة:الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

---

(1) البرهان في علوم القرآن (383/2) .

(2) خصائص التراكيب : 254 .

منه قوله تعالى : ﴿**اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾. [الأعراف :18] .

قال ابن الجوزي – رحمه الله –(ت:597هـ) : « فأما قوله (**مِنْهُمْ**) فقال ابن الانباري: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم لأنه حين قال : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ** ﴾ [الأعراف :11] ، كان مخاطبا لولد آدم فرجع إليهم فقال : (**لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ**) فجعلهم غائبين لأن مخاطبتهم في ذا الموضع توقع لبسا؛ والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب»[1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران :36].

قال أبو السعود – رحمه الله – (ت:982هـ) : «وقرئ (**وَضَعَتُ**) على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إظهارا لغاية الإجلال فيكون ذلك منها اعتذارا إلى الله تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة أو تسلية لنفسها على معنى لعل الله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر»[2].

ومثله قول الله عز وجل: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون**﴾.[النحل:68-69] .

---

(1) زاد المسير في التفسير ، لابن الجوزي (178/3) .

(2) تفسير أبو السعود (2/ 28) .

قال الرازي (ت:606هـ)- رحمه الله - : « هذا رجوع من الخطاب إلى الغيبة والسبب فيه: أن المقصود من ذكر هذه الأحوال أن يحتج الإنسان المكلف به على قدرة الله تعالى وحكمته وحسن تدبيره لأحوال العالم العلوي والسفلي فكأنه تعالى لما خاطب النحل بما سبق ذكره خاطب الإنسان وقال إنا ألهمنا هذا النحل لهذه العجائب لأجل أن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾. [النور :12] .

قال البيضاوي (ت:685هـ) – رحمه الله - : « (**لَوْلا**) :هلاّ (**إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً**) بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات ،كقوله تعالى:﴿ **وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [الحجرات :11]وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغ في التوبيخ وإشعارا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذوبهم عن أنفسهم»[1].

ومنه قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾ [الجاثية :35] .

قال الشوكاني (ت:1250هـ) – رحمه الله - : « (**فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ**) اي :من النار قرأ الجمهور : (**يُخْرَجُونَ**) بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل ، والالتفات من الخطاب

(1) تفسير البيضاوي (4/ 177).

إلى الغيبة لتحقيرهم **(وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)** أي لا يسترضون ويطلب منهم الرجوع إلى طاعة الله لأنه يوم لا تقبل فيه توبة ولا تنفع فيه معذرة»[1].

ومنه قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [يونس :22].

قال الشوكاني (ت:1250هـ) : « وفي قوله:﴿ **وَجَرَيْنَ بِهِمْ** ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة جعل الفائدة فيه صاحب الكشاف المبالغة ,وقال الرازي : الانتقال من مقام الخطاب إلى مقام الغيبة في هذا المقام دليل المقت والتبعيد كما أن عكس ذلك في قوله ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ [الفاتحة :4]دليل الرضا والتقريب»[2].

قال شيخنا – رفع الله قدره في الدارين – «قال : (**كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ**), فجاءت على طريق الخطاب ثم (**وَجَرَيْنَ بِهِمْ**) فنقل الأسلوب إلى الغيبة والمخاطبون هم الذين إذا نجاهم الله من هول البحر والموج يبغون في الأرض بغير الحق ، وكأن نقل الحديث إلى الغيبة فيه معنى التشهير بهم وكأنه يروي قصتهم لغيرهم لأن هذه الطبائع العجيبة جديرة بأن تذاع وتروى ، ثم فيه لطيفة أخرى هي أنهم كانوا في مقام الخطاب كائنين في الفلك (**كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ**) فهم في الشهود والوجود ، ثم لما جرت بهم الريح ذهبوا بعيداً عن مقام الخطاب فلاءم هذه الحال طريق الغيبة»[3].

---

(1) فتح القدير ، للشوكاني (14/5).

(2) فتح القدير (2 / 494).

(3) خصائص التراكيب : 254 – 255 .

ومنه قول الله تعالى:﴿**إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**﴾ [الأنبياء :92-93] .

قال الزمخشري (ت :538) : « (الأمة) : الملة و(هذه) إشارة إلى ملة الإسلام ، أي: إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ؛ ملة واحدة غير مختلفة ، وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون ، ونصب الحسن (أمتكم) على البدل من (هذه) ، ورفع (أمة) خبرًا ، وعنه رفعهما جميعًا خبرين لـ(هذه) ، أو نوى للثاني مبتدأ ، والخطاب للناس كافة : (**وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**) ، والأصل: وتقطعتم ،إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات ؛ كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ، ويقبح عندهم فعلهم ، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله . والمعنى : جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعًا ؛كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب، ولذاك نصيب ؛ تمثيلاً لاختلافهم فيه ، وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتىً»[1].

قال شيخنا – نفع الله بعلمه – : « وفي هذا الالتفات إشارة أخرى ؛ هي أن الله سبحانه ينصرف عن هذه الأمة حين يتقطع أمرها بينها ، وفيه أيضاً أنها تغيب عن مشهد الحياة حين تنحرف عن منهج القرآن ، وانظر إلى الصورة الحية الكامنة في قوله (**وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**) ، وكيف يصير أمر الأمة وقوتها وكيانها قطعاً حين الاختلاف ويخربون بأيديهم أمرها وشأنها ويهدمون قوتها وريحها».[2].

---

(1) الكشاف (2 / 583).

(2)خصائص التراكيب:255 .

ولعمر الحق أن ما سطره يكتب بمداد من ذهب ؛ فهو يصف واقع الأمة الإسلامية المرير في هذا الزمان ، ويتلمس لها الحلول الناجعة من مصدر عزها الذي اتخذته وراءها ظهريا ، وفي ظني وعلمي – القاصر- أنه لن يستطيع سبر التنزيل المجيد وإخراج أمثال هذه أللآلي إلاّ من رسخ في العلم وحرص على زيادة إيمانه بإدامة التفكر.

الصورة الخامسة :الالتفات من الغيبة إلى التكلم :

ومنه قوله تعالى :﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الإسراء:1].

قال البيضاوي (ت:685هـ) :« (**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**) كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم ، وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات»[(1)].

وقد أشار الزركشي (ت:794هـ) أنه قد تكرر الالتفات في آية الإسراء في أربعة مواضع :

1. فانتقل عن الغيبة في قوله:(**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**) إلى التكلم في قوله: (**بَارَكْنَا حَوْلَهُ**).
2. ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله: (**لِيرِيَهُ**) بالياء على قراءة الحسن.
3. ثم عن الغيبة إلى التكلم في قوله : (**آيَاتِنَا**).

(1) تفسير البيضاوي (3/ 431).

4. ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله : (**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) [1].

ومنه قوله تعالى : ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**﴾ [طه : 53] .

قال الزمخشري (ت :538) – رحمه الله – : « (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة : أي لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره»[2].

وتعقبه عدوه اللدود _ كما يقول شيخنا – ابن المنير (ت:683هـ) في حاشيته على الكشاف بقوله : « (**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً** – إلى قوله: **فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**) فإما أن يجعل من قول موسى ، فيكون من باب قول خواص الملك : أمرنا وعمرنا ، وإنما يريدون الملك وليس هذا بالتفات ، وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله : (ولا ينسى) ؛ ثم ابتدأ الله تعلى وصف ذاته بصفات إنعامه على خلقه ، فليس التفاتاً أيضاً ، وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب ، وعلى هذا التأويل ينبغي للقارئ أن يقف وقفة عند قوله : (ولا ينسى) ليستقر بانتهاء الحكاية . ويحتمل وجهاً آخر وهو أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال (**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**) فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته ، لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى ، فمرجع الضميرين واحد ، وهذا الوجه وجه حسن دقيق

---

(1) البرهان في علوم القرآن (3 / 387) .

(2) الكشاف (2 / 540).

الحاشـية ، وهـذا أقـرب الوجـوه إلى الالتفـات لكـن الزمخشـري لم يعنـه ، والله أعلم»[1].

قال صاحب أضواء البيان (ت:1393هـ)– رحمه الله – :«وقوله تعالى في هـذه الآيـة الكريمـة: (**وَأَنْـزَلَ مِـنَ السَّـمَاءِ مَـاءً فَأَخْرَجْنَـا**) التفـات مـن الغيبـة إلى التكلم بصيغة التعظيم .

ونظيره في القرآن قوله تعالى في الأنعام : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِبًا** ﴾ [الأنعام :99].

وقوله في فاطر : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا** ﴾ [فاطر :27] .

وقولـه في النمـل : ﴿ **أَمَّـنْ خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْـزَلَ لَكُـمْ مِـنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ** ﴾ [النمل :60] .

وهذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآيات كلها في إنبات النبات . يدل على تعظيم شأن إنبات النبات لأنه لو لم ينزل الماء ولم ينبت شيئا لهلك الناس جوعا وعطشا فهو يدل على عظمته جل وعلا وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له جل وعلا»[2].

وقـال البيضـاوي (ت:685هـ) عنـد تفسـير آيـة النمـل : « (**وَأَنْـزَلَ لَكُـمْ**) لأجلكم (**مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**) عدل به من الغيبة إلى

---

(1) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، بحاشية الكشاف ، لابن المنير (540/2).

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن , للشنقيطي (456/4 – 457).

التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار إليه بقوله : (**مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا**) »[1].

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [النحل :51] .

قال أبو السعود (ت:982هـ) :« (**فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**) التفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم وكرر الفعل أي: إن كنتم راهبين شيئا فإياي ارهبوا فارهبوا لا غير فإني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض »[2].

وقال البيضاوي (ت:685هـ) : « إن الوحدة من لوازم الإلهية (**فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**) نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال : فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير »[3].

وقال ابن جزي الكلبي (ت: 741هـ): « فارهبون خرج من الغيبة إلى التكلم لأن الغائب هو المتكلم وإياي مفعول بفعل مضمر ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله».[4]

ومنه قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي**

---

(1)تفسير البيضاوي (4 / 273).

(2) تفسير أبو السعود (5/ 119) .

(3) تفسير البيضاوي (3 / 403).

(4) التسهيل لعلم التنزيل ، لابن جزي (2 / 155) .

يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت:11-12].

قال شيخنا أبو موسى : «جاء الكلام على طريق الغيبة في قصة خلق السموات وهي أخبار تروى من الغيب البعيد بيننا وبينه ملايين السنين هي عمر هذه الأرض ، ثم انتقل إلى طريق التكلم في قوله :(**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا**) ، وكان الالتفات هنا ذا مغزى مهم لأن السماء الدنيا وما فيها من كواكب من أظهر وأوضح الآيات التي تشير إلى القدرة الخالقة والتي يحث القرآن على النظر إليها كثيراً ، الالتفات أذن كأنه لفت إلى الموضع الذي تؤخذ منه العبرة ، وتدنو به الحقيقة الدالة من القلوب المعتبرة»[1].

الصورة السادسة : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

ومنه قوله تعالى: ﴿**لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً**﴾ [الأحزاب :55] .

قال الزمخشري (ت :538): « ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل: (**وَاتَّقِينَ اللَّهَ**) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحططن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن إن الله كان على كل

(1) خصائص التراكيب : 256 .

شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الأحوال» [1].

ومنه قوله تعالى : ﴿**وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة :3]

.

قال ابو السعود (ت:982هـ) : « (**فَإِنْ تُبْتُمْ**) من الشرك والغدر التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد»[2].

ومثله قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً**﴾ [مريم : 88-89].

قال الشوكاني (ت:1250هـ) : «وفي قوله : (**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً**) التفات من الغيبة إلى الخطاب وفيه رد لهذه المقالة الشنعاء و(الإد) كما قال الجوهري: الداهية والأمر الفظيع ».[3]

ومنه قوله تعالى : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة :2-5] .

---

(1) الكشاف (3 /272)

(2) تفسير أبو السعود (42/4).

(3) فتح القدير (3/ 395).

قال الزركشي (ت:794هـ) : « وقوله: (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) فقد التفت عن الغيبة وهو (**مَالِكِ**) إلى الخطاب وهو (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) ، ولك أن تقول إن كان التقدير: قولوا الحمد لله، ففيه التفاتان – أعنى في الكلام المأمور به:

أحدهما :في لفظ الجلالة فإن الله تعالى حاضر فأصله الحمد لك .

والثاني : (**إِيَّاكَ**) لمجيئه على خلاف الاسلوب السابق .

وإن لم يقدر: (قولوا) كان في (**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) التفات عن التكلم إلى الغيبة فإن الله سبحانه حمد نفسه ولا يكون في (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) التفات لأن (قولوا) مقدرة معها قطعاً, فإما أن يكون في الآية التفاتين أو لا التفات بالكلية»[1].

وبين شيخنا – حفظه الله – السِّر في هذا الالتفات فقال : «إن المعاني السابقة من حمد الله والثناء عليه وذكر ربوبيته للعالمين ورحمته الغامرة وملكه ليوم الدين تحث النفوس على الإقبال صوب الحق متجهة إليه بالخطاب ، معلنة وحدانيتة بالعبادة والاستعانة ، وهكذا يكون الالتفات مشيراً إلى تصاعد الاحساس بالجلال ؛ حتى تخلص النفس في مراحل عروجها من شئونها الأرضية فتشافه الحق وتعلن هناك غاية العبودية والاستسلام»[2].

الخاتمة:

وبعد هذا التطواف البسيط أخلص إلى:

أولاً: أن لغة القرآن أعظم اللغات ، وأوسعها ، وأشملها ، كيف لا وقد تضمنها كتاب ربنا، ورحم الله حافظ إبراهيم حين قال على لسان اللغة العربية:

---

(1) البرهان في علوم القرآن (3 / 389) .

(2)خصائص التراكيب : 258.

أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ فهل سآلوا الغواص عن صدفاتي

ثانياً: أن أسلوب الالتفات من الأساليب التي تتضمن اسراراً بلاغية عجيبة ولاغرو حين وصفه ابن الأثير بأنه شجاعة العربية .

ثالثاً:أن فهم اللغة العربية، إعراباً وصرفاً وبلاغة هو المعين-بعد الله عز وجل في فهم نصوص الكتاب العزيز.

رابعاً: أن مما يجب على المسلم وخصوصاً طالب، العلمَ أن يستزيد من علوم اللغة والقراءات وغيرها من العلوم ليحصل على ما يصبوا إليه من التلذذ بكتاب الله عز وجل.

أسأل الله بمنه وكرمه أن أكون قد وفقت في هذا البحث، فإن كان كذلك فهو من الله ، وهو المستحق للحمد والثناء ، وإن كان غير ذلك فهو من نفسي ومن الشيطان ، والله تعالى ورسوله بريئان منه ، والله أعلم , وصَّلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم .

فهرس المصادر والراجع :

1. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .**
   محمد الأمين الشنقيطي ،ط.مكتبة بن تيمة ،1413هـ .
2. **أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني)**
   د.أحمد مطلوب ، ط. وكالة المطبوعات بالكويت ، الأولى 1980م.

3. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال .
أحمد بن المنير ، ط.حاشية للكشاف دار الفكر.
5. البرهان في علوم القرآن .
محمد الزركشي ، ت. يوسف المرعشلي ،
ط.دارالمعرفة،الثانية1415هـ
6. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن .
أبن أبي الأصبع المصري ،ط.القاهرة, 1383هـ .
7. التسهيل لعلم التنزيل.
محمد الكلبي ،ط.دار الكتاب العربي، الرابعة ، 1403هـ .
8. تفسير أبو السعود= إرشاد العقل السليم إلى مزيا الكتاب الكريم.
محمد العمادي ، ط. دار إحياء الترث العربي .
9. تفسيرالبيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل, دار الفكر .
10. التفسيرالكبير= مفاتيح الغيب.
فخر الدين الرازي ،ط.دار الكتب لعلمية ، الأولى 1421هـ.
11. خصائص التراكيب.
محمد أبو موسى ، ط. مكتبة وهبة ،السادسة 1425هـ .
12. روح المعاني .
شهاب الدين الألوسي، ط.دارإحياء التراث العربي،الأولى1421هـ.
13. زارالمسير.
ابن الجوزي،ط.المكتب الإسلامي ،الرابعة 1407هـ.
14. سير أعلام النبلاء .

الذهبي ، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ،ط الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م

15. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم
حسن عبد الفتاح أحمد،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

16. فتح القدير.
محمد الشوكاني،ط.المكتبة التجارية , الأولى 1412هـ .

17. الكشاف .
الزمخشري (ت :538) ، دار الفكر ، بيروت .

18. لسان العرب.
ابن منظور , ط.دار صادر ، الرابعة 1414هـ .

19 مباحث في التفسير الموضوعي .
مصطفى مسلم،دار القلم ، ط الرابعة 1426هـ – 2005م .

20. المثل السائر .
ابن الأثير الجزري ، ط .دار الكتب العلمية ،الأولى 1419هـ.

21 معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .
الحموي ،ت:إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروتط الأولى، 1414 هـ – 1993 م

22. معجم المقاييس في اللغة.
ابن فارس ، ط. دارالفكر ، الأولى 1415هـ .

23. الوافي بالوفيات.

الصفدي ، ت: أحمد الأرناؤوط وآخر ،دار إحياء التراث – بيروت،1420هـ- 2000م